

## الدرس(92) من شرح كتاب الفوائد لابن القيم رحمه الله

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين وبعد فقال ابن قيم رحمه الله تعالى في كتابه الفوائد فصل - 00:00:00

كان أول المخلوقات القلم ليكتب المقادير قبل كونها وجعل آدم آخر المخلوقات وفي ذلك حكم أحد ها تمهيد الدار قبل الساكن الثانية انه الغاية التي خلق لاجلها ما سواه من السماوات والارض والشمس والقمر - 00:00:16  
والبر والبحر الثالثة ان احذق الصناع يختتم عمله باحسناته وغایته كما يبدأه بأساسه ومبادئه الرابعة ان النفوس متطلعة الى النهايات والاواخر دائما ولهذا قال موسى للسحرة اولا القوا ما انتم ملقون - 00:00:37

فلما رأى الناس فعلهم تطلعوا الى ما يأتي بعده الخامسة ان الله سبحانه اخر افضل الكتب والانبياء والامم الى اخر الزمان وجعل الاخرة خيرا من الاولى والنهائيات اكمل من البدايات. قال فكم بين قول الملك للرسول اقرأ؟ فيقول ما انا بقارئ - 00:01:00  
وبين قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم السادسة انه سبحانه جمع ما فرقه في العالم في آدم. فهو العالم الصغير وفيه ما في العالم الكبير السابعة انه خلاصة الوجود وثمرةه. فناسب ان يكون خلقه بعد الموجودات - 00:01:22

الثامنة ان من كرامته على خلقه انه هيأ له مصالحة وحوائجه والات معيشته واسباب فما رفع رأسه الا وذلك كله حاضر عتيد التاسعة انه سبحانه اراد ان يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات - 00:01:43

قدمها عليه في الخلق. ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا فلما خلق آدم وامرهم بالسجود له ظهر فضله وشرفه عليهم بالعلم والمعرفة فلما وقع في الذنب ظنت الملائكة ان ذلك الفضل قد نسخ - 00:02:05  
ولم تطلع على عبودية التوبة الكامنة فلما تاب الى ربه واتى بتلك العبودية علمت الملائكة ان لله في خلقه سرا لا يعلمه سواه العاشرة انه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم بالقلم - 00:02:27

كان من احسن المناسبة ان يختتمه بخلق الانسان. فان القلم الة العلم والانسان هو العالم ولهذا اظهر سبحانه فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خص به دونهم الحمد لله رب العالمين واصلى واسلم على نبينا محمد وعلى الله واصحابه أجمعين اما بعد - 00:02:46  
هذا الفصل ذكر فيه المؤلف رحمه الله ابتداء ان ان اول المخلوقات القلم ثم ذكر المناسبة في كون اول المخلوقات القلم وفي كون اخرها آدم عليه السلام اما كون اول المخلوقات القلم - 00:03:07

فهذا مما جرى فيه بين اهل العلم خلاف وهو على قولين في الجملة فمن اهل العلم من قال ان اول المخلوقات القلم واستدلوا لذلك بما جاء في حديث عبادة ابن الصامت رضي الله تعالى عنه - 00:03:33

حيث جاء فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ربى وماذا اكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة - 00:03:54

والحديث في السنن بأسناد جيد وهذا حجة من قال ان اول ما خلق الله تعالى القلم وقيل ان اول المخلوقات العرش وهذا هو القول الثاني وهو الذي رجحه ابن القيم رحمه الله في - 00:04:14

نوينته واستدلوا لذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في الصحيح قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخائق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة - 00:04:39

ثم قال صلى الله عليه وسلم وعرشه على الماء يعني والحال ان عرشه على الماء فدل هذا الحديث على ان العرش سابق في الخلق

لان الكتاب كانت والعرش على الماء - 00:04:58

والقلم منذ ان خلقه الله تعالى امر بالكتابة دل عليه ايضا حديث عمران ابن حصين رضي الله تعالى عنه وهو في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - 00:05:17

كان الله ولم يكن شيء قبله وبحمده كان الله وكم عرضه على الماء ثم قال وكتب في الذكر كل شيء وكتب في الذكر كل شيء فدل هذا على سبق خلق العرش - 00:05:36

على القلم وهو قول المحققين من اهل العلم فما الجواب عن حديث عبادة الجواب عن حديث عبادة بواحد من وجهين اما ان يقال ان الاولية هنا نسبية يعني فيما عدا - 00:05:57

العرش من المخلوقات وبهذا تجتمع الدلة واما ان يقال ان الخبر ليس عن او ولية الخلق انما عن انه اول خلق القلم اي الزمن الاول الذي خلق فيه القلم امر فيه بالكتابة - 00:06:14

فيكون الحديث ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب يعني الزمن الاول الذي خلق فيه القلم قيل له اكتب. وليس المقصود الخبر عن اولية خلق القلم انما عن ان - 00:06:39

الكتابة امر بها في اول وقتى وزمانى خلق القلم فلا يكون ثمة تعارض وكلا الوجهين يصلح في الجواب عن الحديث ويلتئم به ما دلت عليه الاحاديث الاخرى - 00:06:59

قوله صلى الله عليه وسلم وجعل ادم اخر المخلوقات وفي ذلك حكم كيف جعل ادم في اخر المخلوقات؟ ان الله تعالى خلق السماوات والارض في ستة ايام ابتداء من يوم الاصد - 00:07:20

وكان خلق ادم يوم الجمعة في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم - 00:07:39

وهو اخر ايام الخلق اذ ان الله تعالى فرغ من الخلق سبحانه وبحمده الجمعة فكان كما قال المؤلف وجعل ادم اخر المخلوقات ثم بعد ان ذكر الاولية والاخري في الخلق قال وفي ذلك حكم - 00:07:54

ذكر هذه الحكم وهي حكم مستنبطة احدها تمهيد الدار قبل الساكن وجده ان ادم خلق له ما في السماوات والارض سخر الله له ما في السماوات والارض فكان مقتضى الحكمة ان يتاخر خلقه ان يتاخر خلق الانسان عن خلق ما من اجله خلق - 00:08:16

اي ما الخلق الذي خلق لاجل الانسان يتقديم حتى اذا آآ خلق الانسان كان ما هيأ له وما من اجله خلق قد وجد. الثانية انه الغاية التي خلق لاجلها ما سواه من السماوات والشمس والقمر والبر والبحر - 00:08:45

وهذا قريب من الاول الثالثة ان اصدق الصناع يختتم عمله باحسنه وغاياتك اي كما يبدأ بأساسه ومبادئه وخلق الانسان اكمل الخلق كما قال الله تعالى والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين. لقد خلقنا الانسان في احسن - 00:09:07

تقويم وقال تعالى ونفس وما سواها وقال تعالى وصوركم فاحسن صوركم فالله تعالى خلق الانسان على اكمل ما يكون من حيث خلقه ومن حيث تفضيله دل عليه قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم - 00:09:31

على كثير من خلقنا تفضيلا وهذا لا يعني انه اكبر الخلق بل اكبر الخلق كما قال الله تعالى خلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس اكبر يعني من حيث الاعجاز - 00:10:00

ومن حيث المقارنة بين عظم الخلق وخلق الانسان خلق الانسان ظليل بالنظر الى خلق السماوات والارض ثم قال الرابعة ان النفوس متطلعة الى النهايات والواخر دائما ولهذا قال موسى للسحرة القوا ما انتم ملقون - 00:10:17

تطعوا الى ماذا الى وعد الله له بالظهور على اعدائه قال فلما رأى الناس فعلهم تطلعوا الى ما يأتي بعده وهو ما يكون من حال موسى مع هؤلاء السحرة الخامسة ان الله سبحانه اخر افضل الكتب والانبياء والامم الى اخر الزمان - 00:10:43

ال السادسة انه سبحانه جمع ما فرقه في العالم في ادم فهو العالم الصغير وفيه ما فيه من العالم الكبير. وهذا يرجع الى الوجه الثالث الرأى السابع انه خلاصة الوجود وثمرته فناسب ان يكون خلقه بعد الموجودات. وهذا يرجع الى بعض ما تقدم. وابن القيم رحمة الله -

00:11:08

احيانا في عده للاوجه سواء في الاستدلالات او في الحكم او في اوجه الترجيح قد يذكر وجها يشمل ما تقدم وما سبق لكنه قد يفارقه ببعض مفارقة فيذكره تخصيصا من باب ذكر - 00:11:28

الخاص بعد العام فذكر الخاص بعد العام نوع من التنبيه على الخصوصية التي تضمنها هذا الوجه او تضمنها ذلك الدليل الثامنة ان من كرامته على خالقه ان هيأ له مصالحه وحوائجه والات معيشته واسباب حياته فما رفع رأسه الا وذاك - 00:11:54

فكله حاضر عتيد وهذا قريب من الوجه الاول والثاني لكنه المح هنا الى ان ذلك على وجه الاكرام لبني ادم. التاسعة انه سبحانه اراد ان يظهر شرفه وفضله علىسائر المخلوقات فقدمها عليه في الخلق. ولهذا قالت الملائكة ليخلقوا - 00:12:17

ربنا ماشاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه من العاشرة انه سبحانه لما افتح خلق هذا العالم بالقلم كان من احسن المناسبة ان يختمه بخلق الانسان فان القلم الة العلم والانسان هو العالم - 00:12:37

فقد وجود الله التعليم على المتعلم وهذا يرجع الى بعض الاجوه المتقدمة نعم وتأمل كيف كتب سبحانه عذر ادم قبل هبوطه الى الارض ونبه الملائكة على فضله وشرفه ونوه باسمه قبل ايجاده بقوله اني جاعل في الارض خليفة -

00:12:58

وتأمل كيف وسمه بالخلافة وتلك ولاية له قبل وجوده. واقام عذرها قبل الهبوط بقوله في الارض والمحب يقيم عذر المحبوب قبل جنائيته فلما صوره القاه على باب الجنة اربعين سنة - 00:13:27

لان دأب المحب الوقوف على الوقوف على باب الحبيب رمي به في طريق ذل لم يكن شيئا لئلا يعجب يوم اسجدوا. وكان ابليس يمر على جسده فيعجب منه ويقول لامر قد خلقت ثم يدخل من فيه ويخرج من دربه ويقول لمن سلطت عليك - 00:13:46

لمن سلطت عليك لاهلنك ولمن احسن الله اليك يقول لان سلطت عليك لاهلنك. ولمن سلطت علي لاعصينك. ولم يعلم ان هلاكه على يده رأى طينا مجموعة فاحتقره فلما صور الطين صورة دب فيه داء الحسد. فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد -

00:14:12

فلما بسط له بساط العز عرضت عليه المخلوقات فاستحضر مدعى ونحن نسبح. الى حاكم ام بأوني وقد اخفي الوكيل عنه وعلم فنكروا رؤوس الدعاوى على صدور الاقرار فقام منادي التفضيل في اندية الملائكة ينادي اسجدوا - 00:14:43

فتظهروا من حدث دعوة ونحن بماء العذر في انية لا علم لنا فسجدوا على طهارة التسليم وقام ابليس ناحية لم يسجد لانه خبث وقد تلون بنجاسة الاعتراض وما كانت نجاسته - 00:15:06

تنلافى بالتطهير لانها عينية فلما تم كمال ادم قيل لابد من خال جمال على وجه اسجدوا فجرى القدر بالذنب ليتبين اثر العبودية في الذل يقول رحمة الله تأمل كيف كتب سبحانه عذر ادم قبل هبوطه الى الارض ونبه الملائكة الى فعل فضله وشرفه ونوه باسمه قبل - 00:15:26

حيث قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة وهذا منزلة سامية مكانة رفيعة قال وتأمل كيف وسمه بالخلافة وتلك ولاية له قبل وجوده. وهذا لشرفه واصطفاء الله تعالى له. واقام عذرها قبل الهبوط بقوله في الارض - 00:15:54

اي ان ذلك جار بتقديره والمحب يقيم عذر المحبوب قبل جنائيته قال فلما صوره على باب الجنة اربعين سنة لانه دأب المحب وهذا اشارة الى ما جاء في الصحيح من حديث انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله تعالى ادم في الجنة - 00:16:21

قوله في باب الجنة من اخبار يبدو انه من الاخبار التي وردت في غير رواية الصحيح لان رواية الصحيح انه صوره في الجنة لما صور الله تعالى ادم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه ولم يحدد ذلك - 00:16:45

اربعين سنة ولا بغيرها فجعل الشيطان جعل ابليس يطيف به اي يدور حوله. وقوله انه يدخل من فيه ويخرج من دربه ما جاءت بذلك رواية الصحيح انما يطيف به اي يدور حوله - 00:17:04

فلما رآه اجوف له جوف عرف انه لا يمتلك اي انه لا يقوى على مقابلته ومصادمته ومقاومة ما يزيشه من الشهوات. هذا معنى قوله عرف انه لا يمتلك اي انه لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات - [00:17:26](#)

وقيل لا يمتلك يعني لا يقوى على دفع الوساوس وقيل لا يمتلك اي من ان ينفعل ويغضب والذي يظهر والله تعالى اعلم ان هذه المعاني جميعها متقاربة وهو لا يمتلك - [00:17:52](#)

في صبره عن الشهوات لا يمتلك في دفع الوساوس لا يمتلك في الغضب وهذا طبعا باعتبار جنس الانسان لا باعتبار الافراد. فمن كمله الله بالصالحات وحصل اليامان وقهوة كل هذا فكان متمالكا. ان عبادي ليس لك عليهم سلطان - [00:18:11](#)

فعبد الله واصفياوه محفوظون عن ان يتسلط عليهم الشيطان بل لو وقع منهم ما وقع من زلل او خطأ تنبهوا وتذكروا وعاودوا الطريق كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فانهم مبصرون - [00:18:37](#)

نعم وما ذكره بعد ذلك رحمة الله من تلمس الحكم في اه الاخبار بخلق ادم اخبار من جهة اخبار الله تعالى بخلق ادم وما رد به الملائكة وما كان في نهاية الامر من الامر بالسجدة كله يعني - [00:18:57](#)

اما يتلهم فيه تلك المعاني التي ذكرها رحمة الله يا ادم لو عفا لك عن تلك اللقمة لقال الحاسدون ولو عفي يا شيخ - [00:19:21](#)

نعم قال يا ادم لو عفا لك عن تلك اللقمة لقال الحاسدون كيف فضل ذو شره لم يصبر على شجرة لولا نزولك ما تصاعدت صدأ الانفاس ولا نزلت رسائل هل من سائل ولا فاحت رواحة ولا خلوف فم الصائم - [00:19:46](#)

فتبيين حينئذ ان ذلك التناول لم يكن عن شره يا ادم ضحك في الجنة لك وبكاوك في دار التكليف لنا ما ضر من كسره عزي اذا جبره فضلي انما تلقي خلعة العز بيدن الانكسار - [00:20:08](#)

انا عند المنكسرة قلوبهم من اجل ما زالت تلك الاكلة يعني هذا كله اشارة الى ان ما يجريه الله تعالى ما اشراه الله تعالى على ادم من الاقضية والقدار وعلى جنسبني ادم بعد ذلك له فيه حكمة باللغة وان بدا ما فيه من الالم - [00:20:27](#)

فان الله تعالى يظهر من ذلك الحال يظهر من تلك القدار ما يكون به تبيان الاحوال فيميز الله الخبيث من الطيب فالله تعالى يرى انكسار العبد وذله فيكون ذلك موجبا لعظيم فضله وعطائه - [00:20:48](#)

ولذلك اذا جرى على الانسان ما يكره من اقدار الله في دينه او في دنياه في نفسه او في اهله او في ماله او في بلده فليتلهم حكم الله تعالى في اقضيته واقداره. فان الله لا يقضي لعبد المؤمن قضاء الا كان له خير - [00:21:10](#)

ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له ولا يكون ذلك الا للمؤمن نعم قال ما زالت تلك الاكلة تعاده حتى استولى دواؤه على اولاده - [00:21:35](#)

فارسل اليهم اللطيف الخبير الداء على ايدي اطباء الوجود فاما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى فحماتهم الطبيب بالمناهي وحفظ القوة بالاوامر واستفراغ اخلاطهم الرديئة بالتوبيه فجاءت العافية من - [00:21:53](#)

كل ناحية فيها من ضيع القوة ولم يحفظها وخلط في مرضه وما احتوى ولا صبر على مرارة الاستفراغ لا تنكر قرب الهاك فالداء متراهم الى الفساد. لو ساعد القدر فاعنت الطبيب على نفسك بالحمية من شهوة خسيسة - [00:22:15](#)

ظفرت بانواع اللذات واصناف المشتهيات ولكن بخار الشهوة غطى عين البصيرة فظننت ان الحزم بيع الوعد بالنقد ما بعد بيع الاجل بالاجل بان تدرك ما ما تشتهي وتتلذذ به في الدنيا - [00:22:38](#)

في مقابل فوات ما وعدت به في الاخرة يا لها يا لها بصيرة عمياء جزعت من صبر ساعة واحتمل الذل الا بد سافرت في طلب الدنيا وهي عنها زائلة وقعدت عن السفر الى الاخرة وهي اليها راحلة - [00:23:03](#)

اذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس وبيع العظيم بالحقر فاعلم بأنه سفيه لأن السفة وضع الشيء في غير موضعه اذ السفة ضد الرشد ومنه سمي من لا يحسن التدبير في المال سفيها كما قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما -

[00:23:23](#)

ومثله ما هو اعظم بان يبيع الآخرة بالدنيا تبيع الآخرة بالدنيا فان هذا من اعظم السفه ولذلك قال ومن يرحب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي لم يصب الرشد في - [00:23:49](#)

بيعها فكل نفس كل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او اما ان يبيعها الرحمن فيربح واما ان يبيعها للشيطان فيهلك ويختسر. اسأل الله ان يجعلنا واياكم من الرابحين الفائزين - [00:24:15](#) - [00:24:36](#) وصلى الله وسلم على نبينا محمد - [00:24:36](#)